من الديوان إلى أجيالنا «الصاعدة»

الديوان، لفظة فارسية. ولهذه اللفظة، روايتان طريفتان: أولاهما، ان كسرى انوشروان شاه العجم، نظر إلى الكتّاب، في دائرة الاحصاء وهم يقومون بأعمالهم، في نشاط وجدّ، وهم يحرّكون شفاههم، فكأنهم يحاورون ذواتهم، فقال في هؤلاء الكتّاب: ديوانهْ، بتسكين الهاء، وتعني في لغة الفرس مجانين! وحُذفت الهاء تحسيناً للفظ.

والرواية الثانية، تنصّ ان كسرى انوشروان عندما اطّلع على عمل هؤلاء الكتّاب، في سرعة ودقة، أعجب وقال: هذا عمل ديوان! أي هذا عمل الجنّ، من ديو، بكسر الدّال، أي الجن، والألف والنون، علامتا الجمع في اللغة الفارسية، فأصبح الديوان، ونُقل هذا الإسم، إلى اللغة العربية، مع كثير من امثاله، كالبستان والأستاذ والتلميذ والإبريق والبرنامج والبهلوان والتخت والجاموس والخندق والخواجه، وهلمّ جّرا!

وهذا الإسم، كما رأينا، أُطلق أولاً، على الكتّاب، ثم علىمكان عملهم، ثم على الدفتر، أي سجل المعاملات الرسمية، ثم على المصنّف، ثم على المجموعة الشعرية،،، أو ليست العبقرية الشعرية، بمعنى ما، ضرباً من الجنوح المتاخم للجنون؟

* * *

انطلاقاً من هذا المناخ «الديواني»، نرى أن جيل شبكات التواصل في العالم، وليد واقع رقمي متسارع نواكبه في مجتمعاتنا، في افضل الأحوال، من غير ان نشارك في ابداعياته.

تعيش الأجيال «الصاعدة» في أيامنا هذه، ارثاً لا فائدة ثابتة ترتجى منه. شباب اليوم يتلقون ما ورثوه من سلفهم ولا يرضونه وهم في معلوماتهم وتقنياتهم متقدمون دوماً على ما هو قائم ولو من باب التمنّي. وما أن تكتسب هذه الأجيال تقنية ما حتى تبدو لها نغمة قديمة. العالم بين أيدي الشباب في العالم يدور في حلقة مفرغة لا تضع نصب أعينهم سوى المجهول. والأنظمة السياسية التي خلّفها القرن الماضي يبدو انها قد أدّت خدمتها العسكرية وهي مسمّرة عاجزة عن التجدد والإستجابة لتطلعات عصر تجاوزها.

وديدن الاقتصاد بات الاستهلاك في حين ان الثروات تتبخّر وتتراكم النفايات، والأديان يتآكلها سرطان طائفي غير مسبوق، والعنصرية وكره الأجانب قد افسدت المجتمعات، أما اجيالنا الوطنية فاكتفينا بالاعتذار منها من غير ان نوفّر لها آليات اخلاقية وروحية في سبيل اصلاح بنى تحتية وفوقية قابلة للحياة.

أجيالينا حزينة تسابقها الأحداث فتستسلم لنمط حياة لا همّة فيه.

إلامَ يظل هذا العالم في معزل عن التوق إلى شيء من السلامة الذهنية؟ انه يفتقر عموماً إلى ضمائر حيّة. فمن هو ذاك الحاكم هنا وهناك الذي شأنه تجسيد ضمير حيّ لشعبه ومن ثم لسائر الشعوب في العالم؟ ثم نخب هنا وهناك ولكن، لا منفذ لها إلى القنوات الإعلامية الكبرى ولمراكز القرار. فما عدد من يصغون اليها؟ من تراه يحث الشباب في العالم على العزوف عن دواوينهم واحياناً عن رفاهية ما مفرطة ومخدرات بصرية كامنة وراء شاشات تجعلهم لا يؤثرون في محيطهم القريب أو البعيد فيركنون إلى الكآبة أو الجمود الذهني، ان الفرح قد يعيد بناء العمارات الإبداعية ويبث الحركة والإيمان بالمستقبل في صفوف الشباب كلهم فلتنعتق الشبيبة من دواوينها الصغيرة ودواوين سواها الأكبر، وتوسّع الخطى على أرض الواقع المعيش بحثاً عن كل جديد. فليتوسل شبابنا بأسره الروح النقدية البنّاءة توصلاً إلى التضامن والتفاعل الإنسانيين.

وطننا خصوصاً مثل دامغ لعبور مبتور شطر الألف الثالث، فالنظام الإقطاعي الذي تجلّى وصفة عرضها من حكمنا، بات مرفوضاً. والدول الخارجية التي ترعى هذا الفريق أو ذاك الذي ينتفع منها ويفاخر بها خدمة لمصالحه الشخصية هي أيضاً في أزمة وفي حالة ترهّل. نعيش حالة جمود مريبة: فما من احد يسعى جدياً لإجراء إنتخابات نيابية أو رئاسية. فلمَ لا نتجنّد لإيجاد صيغة دستورية تتكيّف مع تحديات العصر الذي امسى رقمياً مُعَوْلماً، من شأن تعطلنا المزمن ان يحمل النخبة الصامتة على ابداعية فاعلة تجعلنا نحيد عن دواويننا فعلاً، رفضاً لكل الديوانيين و«الديونجيين» فهل تحصل المعجزة يا ترى؟

أيها الشرفاء العقلاء في بلادي، تحرّكوا سريعاً أو فانتحروا جماعياً!!

د. جهاد نعمان